

تجليات الدين في الرواية الجزائرية

قراءة تحليلية في روايات واسيني الأعرج.

د. عبد الرشيد هميسي¹, د. مصطفى حنانة².

قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، الجزائر.

قسم الشريعة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، الجزائر.

Rachid_man@yahoo.fr

0799035104

ملخص البحث

موضوع دين وما يتعلق به في الرواية العربية دقيق وخطير، لأن الدين هو أعلى المقدسات في البيئة العربية، لكن النقد لم يؤل هذا الموضوع كثير اهتمام، ربما لغلبة الاهتمام بالمواضيع الجمالية عليه. إن الدين هو وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات، لذلك كان من المتوقع أن نجد - أثناء بحثنا هذا - احتفاءً به وتقديسا لتعاليمه، لكن الذي وجدناه كان عكس ما توقعناه؛ فالشخصيات البطلة التي أنطقها واسيني الأعرج كانت ذامّة للدين، أو منكرة له، أو مشككة في جدواه، أو متمردة عليه أو ... ولم تكن مستحسنة ولا داعية له. مثل هذا الأمر لم يكن عبطا بل إنه عن قصد وسابق تدبير، ولقد دفعنا ما وجدناه إلى الوقوف في صف سعيد بنكراد عندما قال بأن الروائي يقوم بعملية انتقاء مؤدجة؛ فهو ينتقي مادته السردية من الواقع تلبية لمطلب الإيديولوجيا، ويشغل هذا الانتقاء كموجه بدئي ومفروض على القارئ. الكلمات المفتاح: الرواية الجزائرية؛ واسيني؛ الدين.

Abstract

The issue of religion in the Arab novel is difficult and difficult, because religion is the highest sanctity in the Arab environment, but criticism has not given much attention to this subject, perhaps to the predominance of aesthetic themes, or perhaps because modern Western criticism - capacitor.

Religion is a divine position that guides the right to beliefs and to good behavior and transactions. Therefore, we were expected to find, in the course of this research, a celebration of his teachings, but what we found was contrary to what we expected; Or disobedience to him, or doubt in

his usefulness, or rebel against him or ... was not welcome or advocate for him.

We have paid what we found to stand in the line of Said Benkrad when he said that the novelist is the process of selecting a medallion; he selects his narrative material from reality in response to the demand of ideology, and operates this selection as an initial and imposed on the reader.

We have reached these results as a result of our approach to the analytical descriptive approach that has helped us to deepen the facts we have reached and to support them with evidence and evidence of the essence of these facts.

Keywords: Religion; Ideology; Novel. Wassini larej.



النص

إنّ الدّافع الرّئيس الذي دفعني لكتابة هذا المقال هو أن النقد الأدبي لم يتطرق بشكل مكثف لمثل هذه الموضوعات وكأنّ هذه الأخيرة هي من المسكوت عنه في النقد العربي المعاصر. مع أن عنصر الدّين في الرواية المعاصرة أخذ يُوظّف بشكل ملفتٍ لأنّ الدّين عمدة أساسية عند المجتمعات المتدنية، فلا توجد حضارة إلا ولها معبد، بل إن كل المجتمعات لها غيرة خاصة على دينها. وهو ثيمة خطيرة في الرواية، إذ يتوقف عليها – أحيانا – غضب القراء أو رضاهم عن نصّ كانت فيه ثيمة الدّين حاضرة بقوة. وأستطيع أن أصرّح منذ البداية أن إيديولوجية الرّوائي هي المسؤولة عن المخرجات التي تخصّ الدّين في الرواية، لأنّها الرّواية التي يرى منها الروائي العالم، وهي التي يستعين بها الرّوائي على فهمه للدين وتوظيفه في نصه والحكم عليه مدحاً أو قدحاً.

وقد تعرضت في هذا المقال إلى أربعة أشياء، مفهوم الدين، عند العرب والغرب، ودوافع توظيف الدين في الرواية والإيديولوجيا في الرواية، وإلى الدّين وتجلياته في روايات واسيني الأعرج.

أولاً- مفهوم الدّين:

في لسان العرب أن الدّيان هو القاضي والحاكم وهو القهّار. ودنتهم فدانوا أي قهرتهم فأطاعوا. والدّين العادة والشأن، تقول العرب: مازال ذلك ديني وديني أي عاداتي. ودان نفسه أي أدّلّها واستعبدّها أو حاسبها، والدين لله إنما هو طاعته والتّعبد له.¹ فالدين حسب هذا وبقية المعاجم، له عدة معانٍ منها: - المُلْك، إذا قلنا دانه دنياً، أي ساسه ومَلَكه وحكمه.

- الطاعة والخضوع, إذا قلنا دان له, فالدين لله.
- المذهب, إذا قلنا دان بالشيء, أي اتخذ دينا ومذهباً وجملة "القول في هذه المعاني اللغوية: أن كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له, فإذا وُصف بها الطرف الأول كانت خضوعاً وانقياداً, وإذا وُصف بها الطرف الثاني كانت أمراً وسلطاناً وحكماً وإلزاماً, وإذا نُظر إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة أو المظهر الذي يعبر عنها"².
أما اصطلاحاً فإن تعاريف الدين كثيرة تكاد تربو على الحصر ومختلفة أيضاً في الزاوية والمقدار وفي الشمولية والتخصيص.

فعند العرب الدين "وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات"³, أما عند الغرب, فقد عرّفه سيسرون بالقول: "الدين هو الرباط الذي يصل الإنسان بالله"⁴ وهذا التعريف مفتوح لا ضابط فيه ولا تفصيل, ويدخل هذا التعريف كلّ ما ليس من الدين, أي غير جامع وغير مانع.

أما (كانط) فيعرفه: "الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية"⁵. إن حصر الدين في الشعور تقزيم من حجمه, لأن الدين منظومة متكاملة من التعاليم والأخلاق والقيم.

أما شلاير ماخر فيقول في كتابه (مقالات عن الديانة): "قوام حقيقة الدين شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة"⁶.

وهذا لبّ الدين الذي قال الله فيه: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات 56). والهدف الأسمى من إقامته.

ومن أشمل التعريفات, تعريف الأب شاتل: "الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق: واجبات الإنسان نحو الله, وواجباته نحو الجماعة, وواجباته نحو نفسه"⁷.

من خلال هذه التعريفات وغيرها نخلص إلى الدين من الله نحو الإنسان. وهو عبارة عن مجموعة من الأوامر والنواهي والإرشادات والتقاريرات تقيم للإنسان منظومة روحية ومادية تضبط سلوكه وقيمه وتحدد له مساره, للوصول إلى السعادة.

ثانياً- دوافع توظيف الدين في الرواية:

توظف الرواية عناصر عدّة, كالفلسفة, والمعرفة, الأسطورة, والسياسة, والواقع, والفتنازيا... وكلّ هذه العناصر هي وسائل يتوسل بها الروائي للوصول إلى فكرة ما في ذهنه, من أجلها كتب روايته. وقد تغدو – أحياناً – هذه العناصر الوسيلة غاية في حدّ ذاتها كأن يكتب فيلسوف وجودي رواية يتوسل فيها بالفلسفة الوجودية, وهدفه من ذلك نشر هذه الفلسفة.

الدين هو أحد العناصر التي يُتوسّل بها أثناء كتابة الرواية للوصول إلى شيء ما, وهو من أخطر الوسائل, ودوافع ذلك:

1 - الشهرة: وذلك لأن الدين شيء مقدس عند بعض الشعوب المتدينة، فيقوم الروائي بتدنيسه أو بتقديسه؛ أما تدنيسه فيؤدي إلى إثارة حفيظة القارئ المتدين وبالمقابل إرضاء القارئ غير المتدين، أما تقديسه فيفعل العكس. أما التدنيس فهو نوع من الشذوذ هدفه الشد لكتاباتاته و لو على حساب الحقائق و مسلمات الناس. وقد يعتبره البعض ازدراء بهم أو تحقيرا و وضعاً لمكانتهم.

2 - إرساء الدين وقواعده في نفوس القراء، وبسط مفاهيمه بتحويلها إلى واقع معاش بطريقة فنية أخاذة غير موجودة في الخطابات العلمية أو الوعظية، وفي هذا الإطار قد يتم عرض الخرافات التي علقت بالدين ونقدها، أو عرض القضايا التي تبدو لا عقلانية والدين يحض عليها ومن ثم يتم تحليلها وتبسيطها وإظهار حجيتها. وقد يتم في هذا التفريق بين الدين وممارسة الدين؛ لأن الدين من الله وممارسته من العباد.

3- التشكيك في الدين وفي قواعده وفي جدواه، وفي أهليته أن يكون الحل الأول الذي تلجأ إليه المجتمعات في أزمتها، أو في إعطاء رؤية كاملة شاملة للحياة ومتغيراتها.

4- اتهامه بأنه السبب الأول في أزمت المجتمعات: الحروب، الفقر، الجهل، التبعية، العنف، الصراعات، الخرافة، وهذه حقيقة بعض الديانات التي حُرِّفت بسبب طمع النفوس التي جعلت الدين مطية لأهوائها حتى تحظى تصرفاتها بالقبول والتسليم.

5- الانتصار للمذاهب اللادينية، ذلك بتصوير الدين في صورة تبعث على الرثاء.

6- "التراث الديني في قسم منه هو تراث قصصي، لذا وجد بعض الروائيين أن تأصيل الرواية العربية يقتضي العودة إلى الموروث السردى الديني والإفادة منه في التأسيس لرواية عربية خالصة.

7- التراث الديني يشكل جزءاً كبيراً من ثقافة أبناء المجتمع العربي، لذا فإن أي معالجة للتراث الديني هي معالجة للواقع العربي وقضاياها"⁸ و هو باب واسع يستطيع الأديب و المفكرولوج منه إلى أعماق المجتمع و إحداث التغيير فيه بكل يسر.

عموماً، إن إيديولوجيا الكاتب هي المسؤولة الأولى عن توظيف الدين في الرواية سواء بالوقوف معه أو ضده.

ثالثاً- الإيديولوجيا في الرواية:

استعصى مفهوم الإيديولوجيا على الدارسين لأنه تشعب في مفاهيم مختلفة لم يكن قد فُكر فيها واضح هذا المصطلح. ومن أكثر التعاريف شمولية ومعقولة لهذا المصطلح ما أورده زكريا إبراهيم في كتابه مشكلة الفلسفة، حيث يقول: "الإيديولوجيا كل ما هو متصور عقلياً، سواء أكان عقيدة دينية، أم مذهباً فلسفياً أم إيماناً أخلاقياً"⁹. وقد يصح القول أن الإيديولوجيا كان لها هذا الشأن في أوربا عندما بدأ التخلي عن الدين، فأخذت الإيديولوجيا مكانه ومكانته، فغير عن هذه الحالة خليل أحمد خليل بقوله أن الإيديولوجيا أصبحت ديناً بلا إله.

ومن جهة أخرى فقد غدت قناعاً لمصالح فئوية إذا نظرنا إليها في إطار مجتمعي أي، وهي نظرة إلى العالم والكون، إذا نظرنا إليها في إطار التسلسل التاريخي¹⁰. أما فيما يخصّ علاقتها بالنص فإن الإيديولوجيا هي المكون الأولي للنص، فلا يمكن بناء نص روائي إلا بالاستناد على هذه المادة الأولية، ولقد ذهب نصر حامد أبو زيد إلى القول أن المكون الإيديولوجي يمثل عصب الرسالة المتضمنة في أي اتصال لغوي¹¹، وتعليل هذا أن مبنى الرواية جاء معضداً لمعناها، ومعناها سابق في الوجود على عملية البناء ذاتها، بحيث تأتي أثره الأحداث والشخصيات والحبكة والحوار والوصف وغيرها من العناصر والمكونات لتخدم الغرض الإيديولوجي، بحيث تُسرّد المفاهيم¹².

عادة الرواية أن تكون محلّ صراع بين إيديولوجيات متباعدة وهذا الأمر من شأنه أن يبني حبكة متينة للرواية إذا اتقن الروائي استغلال هذه الإيديولوجيات وإدارتها بطريقة ماهرة، فالإيديولوجيات "داخل الرواية لا تلعب إلا دوراً تشخيصياً ذا طبيعة جمالية من أجل توليد تصور شمولي وكليّ هو تصور الكاتب"¹³. وهل هذا يعني أن الكاتب بريء من أي إيديولوجية في النص، دوره فقط إدارة الإيديولوجيات المتصارعة في النص؟!

يرى فيكتور سرج أن الأدباء في حقبة ما هم دائماً دعاة ومبشرون وهم يشغلون وظيفة إيديولوجية، بعضهم يسلي الأغنياء والآخرين ناطقون باسم الجماهير¹⁴. ويرى محمد كامل الخطيب أن الرواية المعاصرة تكتب ضمن مجالين إيديولوجيين أو ضمن مجال إيديولوجي واحد؛ والذي يهمنها هي التي تكتب ضمن مجالين إيديولوجيين، وهو عندما تكون في المجتمع إيديولوجية سائدة وهي مخالفة لإيديولوجية الكاتب فهذا من شأنه إحداث تناقض بين الكاتب والإيديولوجيا السائدة فتكون الرواية عندئذٍ مظهرًا من مظاهر معارضة الإيديولوجيا السائدة¹⁵. ولنا الآن أن نتساءل، هل من الضروري أن تكون هذه الإيديولوجيا ظاهرة واضحة، لكل من يقرأ نصّ الرواية، أم أنها تحتاج إلى قراءة نقدية فاحصة حتى نتمكن من فرز إيديولوجية الكاتب وتمييزها عن إيديولوجية غيره، لأن النص كما أسلفنا مجمع إيديولوجيات؟

لابدّ أن نقرّ أن الكتاب مختلفون في مسألة إظهار أو إخفاء أيديولوجياتهم في نصوصهم، بل إن الكاتب الواحد أحياناً يعتمد إلى إظهار أيديولوجيته وأحياناً إلى إخفائها وذلك محكوم بعدة عوامل كالظروف الثقافية والسياسية والقطرية ومآرب الكتاب وقناعاتهم، وأيهما أنجع إخفائها أو إظهارها، وأحياناً "الكاتب لا يضمن بالضرورة أيديولوجيته الخاصة ضمن إحدى الإيديولوجيات المعروضة في النص، فقد تبقى أيديولوجيته خفية، أي تتحرك بسرية بين الإيديولوجيات المعروضة"¹⁶. وفي هذه الحالة يتوسل الروائي بوسائل لغوية جمالية يخفي بها أيديولوجيته كالحوارية والكرنفالية أو التناصية التي توفر على المتلقي فرز صوت الكاتب من بين الأصوات

التي تتنازع عالم الرواية¹⁷؛ فحجب الأسلية هي الأنجع في طمس رؤية الكاتب وأيديولوجيته، وعادة ما تكون هذه الروايات ذات خصائص أسلوبية وبنائية عالية. ومثل هذه النصوص تعتمد على آلية التقييم، أي إخضاع مكونات النص السردى إلى أحكام القيمة الأخلاقية والجمالية، بحيث تكون القيمة الموصوفة بالإيجابية داخل المكون السردى تصب في صالح الإيديولوجيا الموجهة للنص، بينما الذي يضاد تلك الإيديولوجيا عليه بالإدانة، فالإيديولوجيا بتعبير فيليب هامون "تأخذ دائماً شكل مقارنة مضمرة أو صريحة"¹⁸

إضافة إلى هذا فإن الشخصية الروائية تعتبر القناة التي تعبر من ¹⁹إيديولوجيا الروائي. أو أن يتم رفض إيديولوجيا أخرى من خلالها عموماً فإن للإيديولوجيا في الرواية دوراً خطيراً، إذ على أساسها تتكون مضامين الرواية ثم أحداثها ثم الشخصيات الحاملة لها. فنستطيع القول أن الإيديولوجيا هي بنية الرواية الأولى، أما بقية عناصر الرواية فما هي إلا تجلٍ لهذه البنية، وخدمة لها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

رابعاً - الدين ومتعلقاته في روايات واسيني الأعرج:

1 - الدين:

سبق أن قرنا أن الدين شيء من الله إلى الإنسان، وهذا الشيء هو مجموعة من الأوامر والنواهي والإرشادات والتقريرات تقيم للإنسان منظومة روحية ومادية تضبط سلوكه وقيمه وتحدد له مساره للوصول إلى السعادة. وبعد هذا التعريف فسنستوقع أن يتناول الروائيون العرب - وخاصة الذين اختاروا البيئة العربية الإسلامية كأمكنة تدور فيها أحداث رواياتهم - الدين بصورة إيجابية، بحيث يشكل الدين العنصر الأول من مقدساتهم، وعليه سيبينون رؤيتهم للحياة ومتغيراتها. ولكن الذي وجدناه عند الروائي واسيني الأعرج - الذي عادة ما يختار البيئة الجزائرية كساحة تدور فيها أحداث رواياته - عكس الذي توقعناه. فصورة الدين ليست مشرقة، بل معتمة، وقد توسل في نقل هذه الصورة بالشخصيات المختلفة التي أبدعها، وعادة ما تكون هذه الشخصيات بطلاً ومثقة ومتحررة ولها مشروع تطمح إليه.

لقد خصَّ الروائي واسيني الأعرج الدين بشيئين ذميمين: اللعن وأنه سبب الحروب. أما اللعن فقد ورد بصورة مكثفة في نصوصه المختلفة، كقوله: "الله يلعن دين باباك"²⁰ "الله يلعن دين بوها بلاد."²¹

في هذين القولين تأويل، وهو أن قصد القائل ليس الدين وإنما (الأب) (البلاد)، وقد يكون هذا صحيحاً بالقياس إلى اللهجة الجزائرية، و ما أبخس الشيء الذي أتخذ مطية للعن! فكان القائل ركب ظهر (الدين) ليلعن غيره. وفي هذا حظ من الدين وقدره. ولقد كان يسعه تهذيب المنقول بالاعتماد على التورية مثلاً احتراماً للقارئ.

وفي جملكية آرابيا يقول : "يلعن دينك" ²², "يلعن دينك ودين والديك" ²³. وفي القرآن ما يخص هذا الشيء : (ولئن سألتهم ليقولون إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسله كنتم تستهزؤون) (سورة التوبة 65) .

ومن أسباب لعن الدّين كونه يحرم اللقاء بين الرجل والمرأة الذي ينجم عنه الفاحشة, فقال واسيني في ذلك لاعناً الدّين : "ألعن صباحاً ومساءً كل أديان الدنيا التي تحرم قلبين من أن يلتقيا" ²⁴. لكن الأديان لا تحرم النقاء القلوب لكن تنظم طريقة التقائها بل تحت على ضرورة النقاء إذا جمعها الود, فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَمْ يَرْ لِمُتَحَابِّينِ مِثْلُ النِّكَاحِ» ²⁵.

إن كانت الاقتباسات التي قبل هذا قد إلتمسنا لها مخرجاً في اللهجة الجزائرية, فإن هذا الاقتباس من صناعة الرّوائي ولا دخل للهجة في ذلك, وأن الدين هو المقصود باللعن لا غيره. وبقية المواضع التي ورد فيها اللعن كثيرة ²⁶ لا نوردّها لأنها متشابهة إلى حدّ كبير مع ما ذكرنا.

أمّا نعتة للدين بأنه سبب للحروب, فقد ورد ذلك في رواية جملكية آرابيا : "حتى أنني في لحظة من اللحظات شتمتُ كلّ الأديان بلا استثناء, بها تخاض الحروب, وتراق دماء الأبرياء, وبإسمها أيضاً تتوقف, وكان في ذلك سرّ لعبة قاتلة, يديرها كائن يشبه الشيطان وفي كلّ شيء أكثر مما يشبه الله" ²⁷.

والآن دعنا نتساءل, هل أن كلّ هذا اللعن للدين, وهذا الاتهام, مطلب جمالي في هذه الرّوايات أم مطلب إيديولوجي؟

هل بكل هذا اللعن أراد الأعرج أن ينقل لنا صورة الواقع كما هي؟! أم أن نقل الواقع أيضاً تتدخل فيها إيديولوجية الرّوائي, ولو فرضنا أن هذه الروايات هي نقل أمين للواقع فهل لها قيمة؟

يقول مايشيري في هذا الصّدّد أن النص لو كان مرآة أمينة للواقع فلن تكون له أيّة قيمة دلالية لأنه سيكتفي عندئذٍ بنقل الواقع كما هو, أمّا وهو غير مكتمل فإنه يكمل صورته الخاصة هادفاً إلى تكميل صورة الواقع الناقصة بالنسبة إليه, وموجز قوله "إنّ المرأة تعبيرية لأنها لا تعكس أكثر مما هي تعبيرية لأنها تعكس" ²⁸.

2 - الأنبياء:

الأنبياء هم خلاصة البشر من نقاء و ذكاء و حياء و خبرة و كمال وحملة الدّين إلى البشر, وفيهم يتجلّى الدّين أكثر من غيرهم, وهم الذين يربطون الأرض بالسماء, والتشكيك في صدقهم أو في أمانتهم أو في أخلاقهم تشكيك مباشر في الدين وطعن فيه. ولقد وردت بضع مواضع في روايات واسيني الأعرج تطعن في الأنبياء إمّا تشكيكا أو تشويها لصورتهم أو خطأ من قيمتهم, ففي روايته البيت الأندلسي يقول: "لا أعتقد أن الشيطان هو من خان الأمانة في دهاليز الجنة المكتظة بالمسنين, وليس هو من عمق سحر غواية التفاحة في عيني حواء الهشة المرتبكة وشل عقل آدم في عمق التفاحة من بذور الغواية والخيانة نفسه, حواء لم تكن امرأة فقط كانت تفاحة أيضاً

وآدم لم يكن حملاً ضائعاً في الجنة، ولكن شيطاناً صغيراً هو أيضاً".²⁹ و لك أن تضع هذا التصور إزاء تصور الإمام ابن تيمية للنبوة والرسالة، ثم تقارن بينهما، قال ابن تيمية: "ولست حاجة أهل الأرض إلى الرسول كحاجتهم إلى الشمس والقمر والرياح والمطر ولا كحاجة الإنسان إلى حياته وحاجة العين إلى ضوئها والجسم إلى الطعام والشراب بل أعظم من ذلك وأشد من كل ما يقدّر ويخطر في البال".³⁰ فالنبوة والرسالة حاجة وجودية لا تستقيم حياة الإنسان إلا بهما. فإذا كان ذلك كذلك فإن أي خدش في صورة النبي - كما سلف مع نص الرواية - هو خدش في الدين الذي بلغه هذا النبي.

تصور الأنبياء أنهم حاجة يفضي بنا إلى قول أنهم رحمة للبشرية، لأن بهم يكون للبشرية نورها وطريقها القويم، ولكن هذا التصور معكوس في روايات واسيني الأعرج فهم ليسوا رحمة بل عذاب وخوف: "كان تحت رحمة جثة ملعونة، جميلة تخاف وتحيف كالأنبياء تماماً"³¹، وما يعارض هذا التصور قول النبي صلى الله عليه وسلم: «حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَنَحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرِضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمَدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَعَفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ»³² فالرسول خير كله حياته ومماته وليس مخيفاً البتة بل هو أمن وأمان.

الأنبياء ضعاف - حسب هذه الرواية - لأن الشيطان استطاع أن يتغلب عليهم: "كان دائماً يقول أن الطفلة الصغيرة.... والشيطان قوي فقد أغوى الأنبياء"³³. والقرآن يقول: ﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادة من المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ الحجر (39 و40 و41 و42)، فالأنبياء محفوظون من الله والشيطان يقرّ بذلك وهذا صريح القرآن و قال أيضاً: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ سورة النساء جزء من الآية 76. فالأنبياء حسب هذا التصور أضعف من الضعف؛ فكيف استطاع مخلوق له كيد ضعيف أن يغويهم. ولو أن الأمر ارتبط فقط بسيدنا آدم لهان الأمر ولكن هناك تعميم.

وصل الأمر إلى تكذيب غير مباشر للنبي صلى الله عليه وسلم؛ فالنبي قال: "لا نبي بعدي"، وفي الرواية: "لا والله يا لونها أنت خاتمة الأنبياء والرسل"³⁴، وفي القرآن: ﴿ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ (الأحزاب. 40). وهذا نسفٌ مباشر لصريح القرآن.

خلاصة هذه المقولات أن الأنبياء مثلهم مثل بقية البشر أوهم - أحياناً - أخطأ منهم درجة، فهم خونة وأشرار ومخيفون حسبما وصفتهم شخصيات روايات واسيني الأعرج، ولكن أليس غريباً ألا يخلق واسيني الأعرج شخصية واحدة في رواياته تمدح الأنبياء وتقف إلى صفهم وتمجد صنيعهم، فالشخصية في النهاية وسيلة لتبليغ شيء ما، ولها ثلاثة أوجه، باعتبارها وظيفة، ويسمح الدور التيمي أو الموضوعاتي في الرواية بإيصال المعاني والقيم، ففي الرواية الإيديولوجية يتم تحميل الشخصية لإيديولوجيا ما

أو تكون رافضة لها.³⁵ وهذا الرأي من شأنه أن يسمح بالشك في صاحب النص، الذي قد يكون هو حامل هذه الإيديولوجية وليس شخصياته. ومما يعضد هذا أن ذكر الأنبياء بالخير غير موجود في هذه الرواية وفي أخريات.

3 - القضاء والقدر:

القدر في اللغة هو مبلغ كل شيء، أما في الاصطلاح فقد عرّفه الخطابي: "هو الإخبار عن تقدم علم الله بما يكون من أفعال العباد واكتسابهم وصدورها عن تقدير منه"³⁶، وعلم الله أزلّي لا يخطئ، وواجب وقوعه على الوجه الذي هو في علم الله. أما عن علاقة الدين بالقدر فإنّ الدين جاء مخبراً أن أقدار الله وجب الإيمان بها وأن كل شيء في هذا الوجود بعلم الله وبقدره، فكل شيء يحدث أو سيحدث هو في علم الله الأزلّي. فوجب التسليم المطلق لإرادة الله.

وأن تقبل الأقدار والتدبر فيها يقود إلى أن صاحبها حكيم ورحيم و... فالقدر هو أحد تجليات عظمة الخالق. وقبوميته على الوجود. و الإيمان بالقدر فيه حكم عظيمة لا تستقيم الحياة إلا به، منها قوله تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض و لا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم و الله لا يحب كل مختال فخور﴾ سورة الحديد الآية 22، 23. في رواية شرفات بحر الشمال: "... إذ تمضي حيث يشاء انتشاؤك لا حيث يشاء قدر الله".³⁷ فقدر الله - حسب هذا - مغلوب على أمره، أي أن إرادة الله غير نافذة. بعد كل هذا نقرر ما قرره سعيد بنكراد عندما تحدث عن آلية الانتقاء التي يقوم بها الروائي المؤدّج؛ فهو ينتقي مادته السردية من الواقع تلبية لمطلب الإيديولوجيا، وهو ما سمّاه بالتنسيق السابق، فمدلول النص "يُصاغ بشكل سابق وبعيد عن عالم النص، ويشغل كموجه بدئي ومفروض على القارئ"³⁸، وهذا الذي نلمسه في روايات واسيني الأعرج. فهناك تمرّد عن الدين ورفض لبعض أصوله وتشكيك فيها. ونتيجة ذلك أن يظهر الدين بصورة منفرة ومشوهة.

خاتمة

- الدين هو الأوامر والنواهي الإلهية والتقريرات التي تقيم للإنسان منظومة روحية ومادية، تضبط سلوكه وتبين له قيمه، لتصل به إلى السعادة الدنيوية والأخروية.
- يوظف الدين في الرواية لأغراض شتى: كطلب الشهرة، أو محاولة إرساء تعاليم الدين في نفوس القراء، أو التشكيك في الدين، أو الانتقاص منه والانتصار للادينية، توظيفه على أساس أنه تراث له معطيات خاصة وله القدرة على الإضافة الجمالية للنصوص الموظفة له.
- الإيديولوجية بالنسبة للروائي هي ضرورة ثقافية، سواء أظهر الروائي ذلك أم أخفاها، والإظهار والإخفاء محكومان بعوامل سياسية وثقافية وقطرية، وبمآربه وقناعاته.

وقد عمد واسيني الأعرج إلى خلع أيديولوجيته على شخصياته البطلة التي تشابهت في مواقفها من الدين.

- إن أول شيء يكون الرواية هو الإيديولوجيا ثم المضامين ثم الأحداث ثم الشخصيات.

- صورة الدين في روايات واسيني الأعرج غير مشرقة , فقد قرر الأعرج أن الدين سبب الحروب , وقد اتخذ الدين مطية للعن , ووصفه بالتحجر والقسوة.

- صورة الأنبياء مشوهة في روايات الأعرج؛ فهم - حسب - خونة , ضعاف , مخيفون..

- القضاء والقدر دُنس في بعض روايات الأعرج ؛ فكان الإنسان يخلق قدره بنفسه وهو أقدر على ذلك من الله.

- كثير من روايات الأعرج لا تتفاعل بالدين ولا تتخذ عمدة في الحياة , وليس هو الحل الأمثل للإشكالات المختلفة ؛ الحضارية أو السياسية أو ثقافية أو...

الهوامش:

- 1- ينظر: ابن منظور - لسان العرب. دار صادر. ط2003. ج5 مادة دين.¹
- 2- محمد عبد الله دراز - الدين. بحوث ممهدة لتاريخ دراسة الأديان - مؤسسة هنداوي ط2012. ص32.
- 3- المرجع نفسه ص33.³
- 4- المرجع نفسه ص34.⁴
- 5- Kant. La religion dans les limites de la raison. 4 eme partie. 1ere selection.
- 6- محمد دراز - الدين.(مرجع سابق) ص34.⁶
- 7- المرجع نفسه ص ن.⁷
- 8- محمد رياض وتار - توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة. اتحاد الكتاب العرب- دمشق- سوريا- ط2002- ض140.
- 9- زكريا إبراهيم - مشكلة الفلسفة - مكتبة مصر 1971, مصر القاهرة, ص242.⁹
- 10- ينظر: عبد الله العروي- مفهوم الإيديولوجيا - المركز الثقافي العربي ط1983- ص53.¹⁰
- 11- ينظر: نصر حامد أبو زيد - النص والسلطة والحقيقة - المركز الثقافي العربي ط2004 ص99.¹¹

- 12- ينظر: ع العالي ز غيلط- الخطاب الديني في الرواية الجزائرية¹²
المعاصرة رسالة دكتوراه - إشراف الطيب بو درباله- جامعة سطيف
2017/2016 ص 194.
- 13- حميد لحميداني- النقد الروائي والإيديولوجيا - المركز الثقافي العربي -
الدار البيضاء - المغرب ط 1990 ص 35.
- 14- ينظر: المرجع السابق . ص 42.¹⁴
- 15- ينظر: محمد كامل الخطيب, الرواية والواقع- دار الحداثة - بيروت ط 1.¹⁵
1981. ص 108.
- 16- حميد لحميداني- النقد الروائي والإيديولوجيا.(مرجع سابق) ص 26.¹⁶
- 17- ينظر - عبد العالي ز غيلط- الخطاب الديني في الرواية الجزائرية¹⁷
المعاصرة رسالة دكتوراه. ص 195.
- 18-Philipphimon- texte et idéologie. Quadrige puf 1997. P
104.
- 19-Vincent Jouve – poétique du roman. Armond colin. Paris.
2007 p 83.
- 20- واسيني الأعرج - سيدة المقام - المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية²⁰
الجزائر. ط 2007. ص 207.
- 21- المرجع نفسه ص 226.²¹
- 22- واسيني الأعرج -جملكية آرابيا- منشورات الجمل - بيروت لبنان-²²
ط 1. 2011. ص 68, 140.
- 23- المرجع نفسه ص 480.²³
- 24- واسيني الأعرج - طوق الياسمين - المركز الثقافي العربي - المغرب²⁴
ط 1. 2004. ص 98.
- 25- رواء ابن ماجة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء الكتب العربية -²⁵
فيصل عيسى البابي الحلبي 593/1
- 26- ينظر: واسيني الأعرج : رواية ذاكرة الماء - ورد دمشق. ط 2. 2006.²⁶
ص 53- 57.
- أثنى السراب - دار الآداب - بيروت. ط 1. 2010. ص
382/337/338/103/17.
- البيت الأندلسي - منشورات الجمل- بيروت ط 1. 2010. ص 232.
- سيرة المنتهى - دار الآداب - بيروت - ط 1. 2015- ص 311.

- 27- واسيني الأعرج – جملكية أرابيا – ص 285. 27
- 28 Pierre madverey – pour une théorie de la production littéraire -1947- p147.
- 29- واسيني الأعرج – البيت الأندلسي. ص 31.32. 29
- 30- ابن تيمية – النبوات. تح: ع العزيز بن صالح الطويان مكتبة أضواء السلف- الرياض – السعودية. ط 1 200م. ج 1 ص 27. 30
- 31- واسيني الأعرج – نوار اللوز- ص 12. 31
- 32- ورواه البزار في مسنده. تحقيق محفوظ الرحمن زين الله , مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ط: 1، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م) 308/5. 32
- 33- المصدر نفسه. ص 105. 33
- 24- المصدر نفسه ص 137. 34
- 35-Vircentjouve. Poetique du roman. Armond colin. Paris 2007 p83.
- 36- النووي – المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج دار إحياء التراث العربي – بيروت ط 2 1992. ج 1 ص 148. 36
- 37- واسيني الأعرج – شرفات بحر الشمال- ص 207. 37
- 38- سعيد بنكراد. النص السردى نحو سيميائيات للإيديولوجيا. ص 67. 38
- المراجع:**
- 1- ابن منظور – لسان العرب. دار صادر. بيروت لبنان ط 2003. ج 5.
- 2- ابن تيمية – النبوات. تح: ع العزيز بن صالح الطويان مكتبة أضواء السلف- الرياض – السعودية. ط 1 200م. ج 1.
- 3- حميد لحميداني- النقد الروائي والإيديولوجيا – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب ط 1 1990.
- 4- زكريا إبراهيم – مشكلة الفلسفة – مكتبة مصر 1971, مصر القاهرة
- 5- عبد الله العروي- مفهوم الإيديولوجيا – المركز الثقافي العربي ط 1. 1983.

- 6- عبد العالي زغيلط- الخطاب الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة رسالة دكتوراه - إشراف الطيب بو درباله- جامعة سطيف 2016/2017
- 7- محمد عبد الله دراز - الدين. بحوث ممهدة لتاريخ دراسة الأديان - مؤسسة هنداوي ط 2012.
- 8- محمد رياض وتّار - توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة. اتحاد الكتاب العرب- دمشق- سوريا- ط 2002.
- 9- محمد كامل الخطيب, الرّواية والواقع- دار الحداثة - بيروت ط1. 1981.
- 10- نصر حامد أبو زيد - النص والسلطة والحقيقة - المركز الثقافي العربي - لبنان - المغرب. ط4. 2004
- 11- واسيني الأعرج - سيدة المقام - المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر. ط2007.
- 12- واسيني الأعرج -جملكية آرابيا- منشورات الجمل - بيروت لبنان- ط.2011.
- 13- واسيني الأعرج - طوق الياسمين - المركز الثقافي العربي - المغرب ط1 2004.